

كيفية تطبيق المقاربة بالكفاءات في التدريس الجامعي

The application of competency approach in university teaching

L'application de l'approche par compétences dans l'enseignement universitaire

الجامعة: المسيلة - الجزائر

د/لمين نصيرة

الجامعة: المسيلة - الجزائر

ط.د/ شيخ رقية

Laminz nacera

n.laminepsy@yahoo.fr

Chikh rokia

rchikh63@gmail.com

University of msila - algeria

University of msila - algeria

الملخص:

لقد حاولت الجزائر الالتحاق بالركب وتبنت تطبيق المقاربة بالكفاءات، من أجل أداء أفضل ومخرجات أكثر قدرة على توظيف المعارف والتكيف الإيجابي مع التغيرات الحاصلة في شتى المجالات، حيث تخضع المنظومات التربوية في كل دول العالم إلى المراجعة و النقد بين الفترة و الأخرى قصد تثمين أو إصلاح أو تغيير ما يمكن تثمينه أو إصلاحه أو تغييره وفق ما يناسب الواقع المتجدد اعتبارا للتطورات المتسارعة في الحياة، حيث يعد موضوع المقاربة بالكفاءات و مهارات التدريس من المواضيع الجديرة بالعناية و الدراسة من طرف كل الباحثين والمتخصصين خصوصا بعد اعتمادها من طرف وزارة التربية الوطنية في المناهج الجديدة التي شرع في تطبيقها بداية من الموسم الدراسي 2003/2004، الشيء الذي يملئ على كل الأطراف الإلمام بها حتى تحقق بذلك جميع الأهداف المنشودة لها.

الكلمات المفتاحية: المقاربة بالكفاءات _ المهارات التدريسية _ المنظومة التعليمية.

Algeria has tried to catch up and adopted the approach of competencies for better performance and more capable outputs of knowledge and positive adaptation to changes in various fields. Educational systems in all countries of the world are subject to criticism and criticism from time to time in order to value, reform or Change what can be valued, repaired or changed according to the new reality in view of the rapid developments in life. The subject of the approach to competence and teaching skills is one of the subjects worthy of care and study by all researchers and specialists, especially after being approved by the Ministry of Education. National In the new methods, which began in the beginning of the academic year 2003/2004, which dictates to all parties to know them to achieve all the goals.

Keywords: competency approach _ teaching skills _ educational system.

Résumé:

L'Algérie a essayé d' avancer et d'appliquer l'approche par les compétences pour une meilleure performance et capacité et de connaissance et d'adaptation positif avec les changements dans de divers domaines , comme les système éducatifs dans toutes les parties du monde passe a la critique de temps en temps , pour apprécier ou reformer ou changer ce qui peut être Apprécier ou reformer ou changer selon les nouvelles réalités le sujet de l'approche par compétences et les compétences d'enseignement sont des thèmes soumis a l'étude par tous les chercheurs et les spécialistes particulièrement après son adoption par le ministère de l'éducation national dans les nouveaux programmes d'étude qui a commencé a être appliquer au début du semestre 2003/2004 qui dicte a toute les partis pour réaliser tous ses objectifs.

Les mots clés : approche par les compétences, systèmes éducatif, pratique professionnelle.

مقدمة: كغيرها من الدول فإن الجزائر تسعى من خلال إصلاح المنظومة التربوية القائم على إعادة النظر في المناهج الدراسية ، إلى تطوير هذه المناهج بما يساير التطورات التربوية الحاصلة على المستوى العالمي . لا سيما وأن كثيرا من البلدان قد أعادت النظر في المقاربات التي تبني عليها مناهجها ، فانتقلت من المقاربة التقليدية القائمة على الأهداف ، إلى مقاربة جديدة تقوم على الكفاءات، هذه الأخيرة التي ظهرت كحل بيداغوجي يقصد إلى التحكم في الانفجار المعرفي الهائل الذي تشهده العقود الأخيرة، من خلال ترشيد قدرات للتلميذ لترتبط بأدائه في الفضاء الدراسي وفي الوسط الذي يعيش فيه على اختلاف مجالاته.

1_ مفاهيم أساسية مرتبطة بالكفاءات:

1_1: تعريف الكفاءة: يعرفها محمد الدريج بأنها: "نظام من المعارف المفاهيمية الذهنية والمهاراتية العملية، التي تنظم في خطاطات إجرائية تمكن، في إطار فئة من الوضعيات، من التعرف على المهمة الإشكالية وحلها بنشاط وفعالية"، وتعرف أيضا بأنها: "مجموع السلوكيات السوسيو وجدانية، كما تفيد كذلك المهارات المعرفية أو المهارات السيكوحسية حركية: فالكفاية بهذا المعنى تحيل على أنماط من التعلم المرتبطة، في الوقت نفسه، بالمجالات المعرفية والسيكوحركية والسوسيو وجدانية. ونجدها معرفة بكونها: "مجموعة من القدرات المدمجة التي تسمح - بكيفية تلقائية - بإدراك وضعية معينة وفهمها، والاستجابة لها بشكل أقل أو أكثر ملاءمة". (بوسمان وآخرون، 2005: ص 9 - 10) وفي تعريف آخر ليليندا علال، نجد مفهوم الكفاءة يرتبط بنفس المجالات الموجودة في تصنيف الأهداف البيداغوجية، بحيث تعرفها بأنها: "شبكة المكونات المعرفية والوجدانية والاجتماعية والحس -حركية وتطبيقها داخل فئة من الوضعيات وتوجيهها نحو غاية محددة. وذكر سكالو نمجموعة من التعاريف التي وجد أنها من الممكن أن تعبر عن مفهوم الكفاءة وهذه التعاريف هي:

- ✓ الصفات العامة للشخص،
- ✓ إدماج المعارف بكل مستوياتها (المعارف بمفهومها العام، معرفة الفعل، معرفة (التواجد)،
- ✓ نظام من المعلومات المتعلقة بالمفاهيم والتطبيقات.
- ✓ حالة الشخص.
- ✓ القدرة على التحويل.

✓ مجموعة مدمجة من المهارات.

✓ القدرة على الفعل.

وبعد عرض هذه التعاريف ومناقشتها وصل إلى أن التعريف الأكثر تعبيراً عن مدلول الكفاءة هو التعريف الذي قدمه روجيرس X.Rogers وهو كما يلي: "الكفاءة هي إمكانية الشخص في تجنيد بطريقة متداخلة لمجموعة من الموارد المدمجة من أجل حل عائلة من الوضعيات مشكلات". ونرى بأن هذا التعريف هو أكثر التعاريف إجرائية وتمكيناً للقيام بعملية التقويم في سياقها الصحيح حسب متطلبات المقاربة، (غريب، 2006، ص35)

ونكتفي بهذا القدر من التعاريف، وما يمكن استخلاصه منها أنها تؤكد على ما جلبته هذه المقاربة من إضافات لم تكن موجودة في المقاربة السابقة، من ذلك نجد تأكيداً على الإدماج والإنجاز والتوظيف والممارسة الناجعة ومواجهة الوضعيات من خلال إدراكها وفهمها... الخ. ونلاحظ على مختلف التعاريف المقدمة للكفاءة أنها ذات طابع معرفي سلوكي، أي أنها لا تخرج عن مجال توظيف المعارف وتجنيدتها من أجل مواجهة وضعيات مختلفة بحيث لا تكون هذه الوضعيات ذات طابع نمطي، بل هي مستجدة، ودور المدرسة هو تزويد التلميذ بأدوات مواجهة هذه الوضعيات مهما كان نوعها ودرجتها والمكان الذي يواجهها فيه. وقد عبر الأستاذ محمد فاتحي عن هذا المعنى المعرفي السلوكي للكفاءة حينما حدد مقاربتين لفهمها؛ أولاهما المقاربة الذهنية، التي تعتبر الكفاءة فيها كتلة من المعارف مرتبطة فيما بينها، وثانيتها المقاربة التصرفية السلوكية، ترتبط الكفاءة فيها بالقدرة على الإنجاز (فاتحي، 2004: ص 34)

2-1. وضعية مشكلة: يتطلب قياس الأداء نمطا تقويميا لا يقوم على قاعدة استرجاع المعارف، وإنما على قاعدة توظيف المعارف. وما دام التوظيف يرتبط بإسقاطات معرفية أو أداءات عملية، فإن خير وسيلة للتحقق من ذلك هو جعل التلميذ يواجه موقفا يستدعي توظيف مكتسباته في وضعيات مختلفة، هذا الموقف هو ما يطلق عليه مصطلح وضعية مشكلة. فإذا أردت مثلاً أن أتأكد من أن التلميذ قد استوعب معنى المحافظة على البيئة بالمستوى الذي يناسبه، فإنني أضعه أمام مواقف سواء في القسم أو في الطبيعة تستدعي حل مشكلة ما لم يسبق له مواجهتها، وعن طريق الامتحان أو الملاحظة أعرف المستوى الذي بلغه. وقد عبر كريستيان بوسمان ومن معه على هذا المعنى حين أكدوا على ضرورة القدرة على مواجهة الوضعيات الجديدة بتجنيد المعارف السابقة وهو ما يدل عليه قولهم: "في جميع الحالات، ليست الكفاية مكونة من مجموع المعارف والمهارات التي تتطلب الاستثمار والتحريك في وضعية معينة. إنها قدرة على مواجهة الوضعيات المختلفة - أو فئة من الوضعيات/المشكلات - الشيء الذي يقتضي بشكل شبه دائم، القدرة على التكيف واتخاذ المبادرات" (بوسمان وآخرون، 2005: 130).

3-1. الإدماج: من بين التعاريف الكثيرة للإدماج، نجد التعريف التالي للجندر Legendre أكثر تعبيراً عن معنى الإدماج في ظل المقاربة بالكفاءات: "يستند الإدماج التعليمي إلى مسلمة، مفادها أنها ترى أن المعارف تشكل كلا منطقياً منظماً، وتعتبر التعلم عملية حل المشكلات بواسطة المعارف والمهارات المكتسبة". (غريب، 2006: ص 518).

ومن التعاريف المقدمة للإدماج نجد تعريف المجلس الأعلى للتربية في كيبك (كندا): "يشير إدماج المعارف إلى السيرورة التي يربط بها التلميذ معارفه السابقة بمعارف جديدة، فيعيد بالتالي بنية عالمه الداخلي، ويطبق المعارف التي اكتسبها في وضعيات جديدة ملموسة". وعرفه كزافيي روجيرس X.Rogers بأنه: "عملية نربط بواسطتها بين العناصر التي كانت منفصلة في البداية، من أجل تشغيلها وفق هدف معطى". وهو في رأيه يتشكل من ثلاث مكونات أساسية هي: الترابط، ويقصد به نسج التلميذ لشبكة بين العناصر المطلوب إدماجها، ومفصلة العناصر وتحريكها، وذلك من أجل استثمار المكتسبات، وأخيراً الاستقطاب، ويقصد به أن التحريك إنما يكون لتحقيق هدف حتى يصبح له معنى، وقد حدد الأستاذ عبد الكريم غريب ثلاث مراحل للإدماج كما يلي:

✓ تمكين التلميذ من معرفة جديدة تضاف إلى معرفته السابقة، والتي ينبغي ترسيخها في ذهنه.

✓ إعادة بناء العالم الداخلي، لأن إدماج معارف جديدة يتطلب إعادة التنظيم الداخلي للمعارف.

✓ توظيف المكتسبات السابقة واستعمالها في وضعيات متشابهة أو في وضعيات جديدة.

إن ما ينبغي التأكيد عليه في هذا العنصر هو أن الإدماج يعتبر من أهم ما استحدثته المقاربة بالكفاءات، فمن بين النقائص المسجلة في المقاربة بالأهداف، نجد قيام المنهاج على شكل مجزأ منفصل يرتبط بالمستوى المراد قياسه. وقد تم التخلص من هذا المشكل في المقاربة بالكفاءات باستحداث الإدماج الذي يدل على بناء المعرفة وربط المكتسبات ببعضها البعض ليتم تمثيلها من طرف التلميذ بصفة شاملة يعبر عنها بالكفاءة. فالكفاءة في نهاية المطاف تنزع إلى تحقيق مستوى من الأداء هو خلاصة لعملية إدماج مستمر بين المكتسبات، بحيث يكون هذا الإدماج بين وحدات المادة الواحدة وبين مختلف المواد.

4-1. الأداء: جاء في تعريف الأداء بأنه: "ما يتمكن الفرد من تحقيقه أنياً من سلوك محدد، وما يستطيع الملاحظ الخارجي أن يسجله بأعلى درجة من الوضوح والدقة". وذكر سكالون خاصيتين أساسيتين للحكم على الأداء وهما وضع المشكلات المطروحة في سياق معين وتقديم أجوبة وتبريرها من طرف التلاميذ. ورغم أهمية الأداء في الحكم على إنجازات التلاميذ، فإنه مع ذلك يبقى يشكل عنصراً

من عناصر بناء الكفاءة ولا يرقى إلى أن يؤشر بمفرده على تحقق الكفاءة، ذلك لأن تقويم التلاميذ يركز على المهارات أكثر من الكفاءة، وهذا يعني أن لا يتطلب بالضرورة وجود وضعيات مركبة، ولكنه يبقى مع ذلك عنصرا مهما في قياس الكفاءات، إذ لا يمكن التأكد من تحقق الكفاءة دون وجود الأداءات الدالة عليها، فتنكيك الوضعيات المركبة يؤدي إلى معرفة العناصر التي تتكون منها، والتي نجد من ضمنها مجموعة من الأداءات التي نجح المتعلم في القيام بها.

5-1. مستوى الكفاءة: حتى تتم عملية التقويم بصفة سليمة، لا بد أن نعرف مستوى الكفاءة الذي نحن بصدد قياسه. ويتدرج تقويم مستوى الكفاءة من الكفاءة القاعدية إلى الكفاءة المرحلية وأخيرا الكفاءة الختامية. وهي كفاءات تتحقق بصفة مستمرة غير منقطعة، في الوحدة التعليمية والفصل الدراسي والسنة الدراسية والمرحلة الدراسية... بحيث تتشكل الكفاءة المرحلية من مجموع الكفاءات القاعدية وتتشكل الكفاءة الختامية من مجموع الكفاءات المرحلية. وتجدر الإشارة إلى مستوى آخر من الكفاءة ألا وهو الكفاءة المستعرضة، وهي تلك الكفاءات المتقاطعة والتي تشترك في تكوينها بعض المواد أو مواد كثيرة، والتي يمكن تحقيقها بواسطة إدماج نواتج تعلمات معينة لبعض المواد أو المجالات (غريب، ع. 2006: 737)

2_ مبررات الانتقال إلى المقاربة بالكفاءات:

إن الانتقال من مقارنة إلى أخرى ليس وليد رغبة في التغيير من أجل التغيير، وإنما نتيجة نظرية وتطبيقية لجملة المشكلات والصعوبات التي تم تسجيلها في تطبيق المقاربة السابقة، وفي هذا المجال يمكننا تسجيل مبررات ترتبط بالتغيرات الحاصلة على المستوى العالمي وأخرى ترتبط بالمجتمع الجزائري وحاجته لنظام تربوي فعال بإمكانه تحقيق الأهداف التي تجعله في مستوى تطلعات المجتمع ومواكبة التغيرات الحاصلة في العالم، ويمكننا تقديم هذه المبررات من خلال العناصر الرئيسية التالية:

1-2. انتشار استعمال المقاربة بالكفاءات في الأنظمة التربوية عبر العالم:

لقد شهدت فترة التسعينيات ومطلع القرن الحالي انتشارا كبيرا لاعتماد المقاربة بالكفاءات في كثير من الأنظمة التربوية عبر العالم، واشتركت في ذلك الدول المتطورة والدول المتخلفة. ومن أبرز الدول المتطورة التي اعتمدت هذه المقاربة نجد؛ فرنسا حيث تم نشر القاعدة المشتركة للكفاءات التي ينبغي أن يتمكن منها كل التلاميذ، كما تم تحديد كفاءات خاصة بكل مادة دراسية إضافة إلى اعتماد المقاربة بالكفاءات في عملية التقويم (Ministère de l'éducation nationale, 2006). ونجد أيضا بلجيكا التي استندت فيها التعليم الأساسي والمستوى الأول من الثانوية إلى أساس الكفاءات، ونجد كذلك مقاطعة كيبيك في كندا، حيث اعتمدت نفس المقاربة في إعادة صياغة برامج إعداديات التعليم العام والمهني. وقبل هذه الدول والمقاطعات الفرانكفونية، نجد المقاربة بالكفاءات في الدول الأنجلوساكسونية

وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، التي تبنت هذه المقاربة في مفهومها السلوكي منذ الستينيات من القرن الماضي حسب هاملتون Hamilton، وقد تطور مفهوم الكفاءة في هذا البلد ليصبح دقيقا وواضحا، حيث أصبح معناها متمثلا في إظهار الفرد لسلوكيات متوقعة من كفاءة ما في إطار برنامج دراسي.

وفي العالم العربي نجد اعتماد هذه المقاربة في البلدان المغربية الثلاث؛ تونس والمغرب والجزائر. فتم اعتمادها في النظام التربوي التونسي نظرا للخصائص التي تميزها عن المقاربات التقليدية، بحيث تقدم هذه المقاربة مفهوما مختلفا للتعلم والتقييم والعلاقة بين المعلم والتلميذ، كما أنها تقدم تصورا جديدا لإدارة وتنظيم القسم والمدرسة (بوسمان. وآخرون، 2005: 98). وفي المغرب تم اعتماد هذه المقاربة بصدور الكتاب الأبيض الذي حدد جملة من الكفاءات الدراسية، بحيث صنف في خمس كفاءات رئيسية هي الكفاءات الإستراتيجية والكفاءات التواصلية، والكفاءات المنهجية والكفاءات الثقافية والكفاءات التكنولوجية (فاتحي، 2004: 71) وفي الجزائر تم اعتماد المقاربة بالكفاءات وشرع في تطبيقها بداية من العام الدراسي 2003/2004، ونجد في مختلف المناهج الصادرة لحد الآن تقريبا نفس المدخل، بحيث تضمن هذا المدخل شرح هذه المقاربة ومبررات اعتمادها والكفاءات الرئيسية المنتظر تحقيقها، وقد تم تصنيف هذه الأخيرة إلى أربع كفاءات أساسية هي؛ كفاءات ذات طابع اتصالي، كفاءات ذات طابع منهجي، كفاءات ذات طابع فكري وأخيرا كفاءات ذات طابع اجتماعي وشخصي.

إن هذا الاعتماد لهذه المقاربة في كثير من الأنظمة التربوية في العالم سواء في البلدان المتطورة أو البلدان المتخلفة يدل على الطابع العالمي لهذه المقاربة، وإن انتشارها بهذا الحجم ما هو إلا مظهر من مظاهر العولمة، التي انتقلت من المجال الاقتصادي المحض إلى المجال الثقافي والتربوي. وما ينبغي التنبيه إليه بالنسبة للعالم العربي، عدم التسرع في اعتماد هذه المقاربة دون أي تكييف وفق الخصوصيات الحضارية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية، وهذا حتى تكون الاستفادة مقتصرة على الطابع التقني والبيداغوجي، مع الاعتراف بصعوبة تحقيق هذا المطلب أمام نقص الدراسات المتعلقة بتصميم المناهج، خاصة منها الدراسات الأصلية التي تتجاوز السعي نحو التكييف الصوري إلى السعي للوصول لمقاربات جديدة ناتجة أساسا من واقعنا العربي بكل خصوصياته. (وزارة التربية الوطنية، ديسمبر 2003)

2-2. المبررات البيداغوجية الديدكتيكية: من خلال الشروط التي حددها فيليب بيرينود Ph.Perrenoud لنجاح اعتماد المقاربة بالكفاءات، يمكننا استنتاج المبررات التالية، التي فرضت الانتقال من المقاربة بالأهداف إلى هذه المقاربة (بيرنود، 2004):

• إعادة صياغة النقل الديدانكتيكي: يقصد بالنقل الديدانكتيكي مجموعة التحويلات التي تتم من ثقافة وقيم المجتمع إلى أهداف وبرامج تربوية. وترتبط إعادة الصياغة بالتغيرات التكنولوجية والاجتماعية السريعة التي تعيشها مختلف المجتمعات، فالأدوات والمعارف التي يتم تبليغها للتلميذ في المدرسة ستتطور وتتغير قبل أن تهضمها البرامج الدراسية. ومن هنا فإن المقاربة بالكفاءات تفرض التخلي عن إعداد التلاميذ استنادا إلى تصورات دقيقة لما يمكن أن ينتظرهم في المستقبل، كما تفرض التخلي عن حصر التكوين في عدد قليل من الكفاءات المستعرضة والعامّة. إن المستجدات الحاصلة تفرض التزود بسلاح المعرفة والتدريب على حل المشكلات والتفاوض والتخطيط، وكل هذا يشكل مبررا رئيسيا للانتقال إلى مقاربة جديدة في تصميم المناهج الدراسية.

• تخفيف الحواجز بين المواد: نلاحظ في المقاربة بالأهداف ذلك الفصل الموجود بين المواد، بحيث كل مادة تسعى لتحقيق أهداف خاصة بها، وعلى العكس من ذلك فإن المقاربة بالكفاءات تقوم على استغلال كل نقاط التقاطع بين المواد لتشكيل الكفاءة المستهدفة. ويقدم لنا بيرنو مثلا لتوضيح هذا المعنى؛ إن مدرسا العلوم واللغة الفرنسية يشرفان على نشاط واحد إذا تعلق الأمر بالكتابة العلمية (تقارير التجارب والمعائنات)، وهو نشاط في نهاية الأمر لا ينتمي حصرا إلى العلوم ولا إلى الآداب، وعلى غرار هذا الالتقاء، يمكن الذهاب بعيدا في إقامة علاقات بين المواد المتقاربة.

• تكسير الحلقة المفرغة: إن ما يلاحظ على المقاربات التقليدية، أنها قائمة على إعداد المتعلمين في كل مرحلة للمرحلة التي تليها، وهكذا فإن المرحلة الابتدائية تعد المتعلم للنجاح في الانتقال إلى المتوسطة وفي هذه الأخيرة يعد للنجاح في الالتحاق بالثانوية... وبهذا تكون المدرسة منغلقة على نفسها ولا يهتما إلا المسار الدراسي للمتعلمين، مع أن الكثير من هؤلاء المتعلمين لا يستمرون في الدراسة إلى نهايتها. ومن هنا فإنه جدير بالمصممين للمناهج إعادة النظر في الدور الذي تلعبه هذه المناهج في الحياة اليومية للتلميذ، بحيث يتحول الاهتمام من الإحالة على المراحل المقبلة من التمدرس إلى الإحالة على الحياة.

• ابتكار طرق تقييم جديدة: يتميز التقييم في المقاربات السابقة أنه يرتبط بالتأكد من اكتساب التلميذ لما تم تعليمه إياه، سواء عن طريق الاسترجاع البحث، أو عن طريق قياس الأهداف الإجرائية. وهذه الأساليب تُبقي التقييم في دائرة الاهتمام بمعدل الفرد ورتبته بين أقرانه، فهو إذن تقييم يركز على جمع الدرجات لإصدار الحكم بمدى أهلية المتعلم للانتقال إلى مستوى أعلى. كل هذا يتعارض مع

مبدأ أساسي من مبادئ المقاربة بالكفاءات ألا وهو مبدأ تفريد التعليم، أي أن المقارنة لا تكون بين التلميذ وزملائه، وإنما بين المهمة المطلوبة وما أنجزه التلميذ فعلا. ومن هنا استحدثت طريقة التقويم تحت وضعيات محددة، بحيث ينبغي إتاحة الفرصة لكل متعلم لإظهار ما يعرف فعله. وبناء على ذلك فإن كفاءات المتعلم تُقوّم عند الضرورة بطريقة شاملة من أجل غايات تكوينية وجزائية. كما أن التقويم في المقاربة بالكفاءات لا يركز فقط على التقويم التجميعي، بل إنه يعطي أهمية كبرى للتقويم التكويني، باعتبار أن الأداء ينبغي أن يراقب أثناء العملية التعليمية وليس فقط بعد انتهائها.

3_2. تفريد التعليم: من المشكلات المطروحة في التعليم المتمحور حول المدرس والقائم على استعمال الأسلوب الإلقائي، أنه يتيح الفرصة للمتفوقين بالتعلم بشكل أفضل وأسرع من الآخرين، وهو ما يؤدي في نهاية الأمر إلى تحول الفروق الأصلية الموجودة بين التلاميذ إلى عدم المساواة في النجاح المدرسي وبالتالي صنع الفشل المدرسي لعدد كبير من التلاميذ الذين لا يستطيعون مسايرة المتفوقين. ومن هنا يأتي تفريد التعليم ليركز على أداء كل تلميذ عوض الاهتمام بنسبة النجاح وعدد التلاميذ الذين تحصلوا على المعدل. فتفريد التعليم يحارب الآلية التي تسير بها الطرق التقليدية ليجعل محلها التفرقة الإيجابية التي تبقى للمتفوقين مستواهم، وتضمن لباقي التلاميذ أفضل أداء يمكن أن يصلوا إليه. وأفضل طريقة مناسبة للمقاربة بالكفاءات، تتمثل في مشروع طويل الأمد بحيث يكلف كل متعلم بمهمة معينة، ليثبت ما يستطيع القيام به فعلا. وإن التحدي الذي تفرضه هذه المقاربة هو جمع تلاميذ من مستويات متفاوتة في نفس الوضعية التعليمية، مع الحرص على أن لا يكون ذلك تشجيعا للمتفوقين على حساب العاديين وبطيئي التعلم. وهكذا تعتبر مشكلة عدم تمكن المقاربات السابقة من التوفيق بين الاهتمام بالتلاميذ النجباء والتلاميذ متوسطي وبطيئي التعلم، مبررا هاما للانتقال إلى مقاربة جديدة.

3_ المقاربة بالكفاءات و المناهج: إن ما يدعو لتغيير المناهج وفق المقاربة بالكفاءات هو اعتماد هذه الأخيرة منطلق التعلم بدلا من منطلق التعليم والذي من أبرز خصائصه ما يلي:

- ✓ تفعيل المواد التعليمية في المدرسة وفي الحياة .
- ✓ الطموح إلى تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة عملية .
- ✓ التخفيف من محتويات المواد الدراسية .
- ✓ جعل المتعلمين يتعلمون بأنفسهم بحسن التوجيه.

- ✓ الانتقال من منطق التعليم إلى منطق التعلم ، حيث يكون التركيز أكثر على نشاط المتعلم في العملية التعليمية / التعليمية .
- ✓ تفريد التعليم، أي جعله يدور على الفرد ، حيث تعطى المقاربة اعتبارا هاما للفروق الفردية بين المتعلمين.
- ✓ إدماج المعارف و السلوكات والأهداف التعليمية بشكل بنائي متواصل ، في نطاق سيرورة التعلم
- ✓ حرية المعلم و استقلاليتة، من حيث اختيار الوضعيات والنشاطات التعليمية، و تصميم مخططات إنجاز المشاريع / الدورات و الوحدات التعليمية لتحقيق الكفاءات المستهدفة.
- ✓ توظيف التقويم البنائي، و ذلك بالتركيز على أداء المتعلم وفق مقتضيات بناء كفاءة من الكفاءات على اختلاف مستوياتها ومؤشراتها .
- ✓ تحقيق التكامل بين المواد والأنشطة الدراسية المختلفة و جعل المعارف وسيلة لا غاية.
- ✓ التدرج في بناء المفاهيم و إكساب المتعلمين المعارف و السلوكات.
- ✓ تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة أدائية. (سليمان، 2003، ص:5_6)

4_ استراتيجيات التعليم بمقاربة الكفاءات: إن العملية التعلّميّة عملية معقّدة، ولكي نصل إلى تحقيق النتيجة المرغوب فيها لابد من اتباع استراتيجيات تعليمية، وهذه الأخيرة لا تستطيع إحداث تغيير إلا إذا كانت مناسبة وناجعة. فما المقصود بالاستراتيجية؟ معنى الاستراتيجية: هي مجموعة الأفكار والمبادئ التي تتناول ميدانا من ميادين النشاط الإنساني بصورة شاملة ومتكاملة، وتكون ذات دلالة على وسائل العمل، ومتطلباته واتجاهات مساره لغرض الوصول إلى أهداف محددة مرتبطة بالمستقبل جاء في معجم علوم التربية ما ملخصه: استراتيجية التدريس هي خطة محكمة البناء، ومرنة التطبيق يتم خلالها استخدام كافة الإمكانيات والوسائل المتاحة بطريقة مثلى لتحقيق كفاءة مرجوة، وتتضمن أشكالاً من التفاعل بين التلميذ والمدرس وموضوع المعرفة.

4_1 سمات الاستراتيجية: إنها طريقة علمية تعتمد بالدرجة الأولى على التخطيط لدراسة موقف أو ظاهرة أو مشكلة والتعرّف على حجم وأبعاد كافة الإمكانيات والقدرات المتاحة تسخيرها بعد ذلك لتحقيق الأهداف المرجوة.

2_4 تتسم بالواقعية: سواء في العامل المنشئ لها أو الوسائل المستعملة والموظفة القادرة على تحقيق الأهداف.

3_4 تتوقف على درجة النجاح في العمل الاستراتيجي على قدرته في تحقيق المبادرة والمفاجأة للمصدر المدرس.

4_4 تتسم باستفادتها المستمرة من كافة المعطيات العلمية ما دامت أنها تساهم في تحقيق الأهداف المرجوة بشكل أفضل.

5_4 تتميز بالحركة الناتجة عن استهدافها مواجهة موقف أو ظاهرة أو مشكلة واقعية يستحيل تحقيق أهدافها إلا عن طريق عمل يعتمد أساسا على الحركة.

6_4 تتميز بالسعي إلى الاستفادة من التجارب السابقة عند مواجهتها لذات الموقف. استراتيجية التعليم والتعلم بمقاربة الكفاءات: تستمد استراتيجية التعليم والتعلم بمقاربة الكفاءات جذورها من علم النفس السلوكي، كما هو الحال بالنسبة للتعليم بالأهداف الجيل الأول، ومن جوانب أخرى من علم النفس المعرفي وعلم النفس البنائي، والتعليم بمقاربة الكفاءات هو العملية التي تكون فيها نتائج التعلم تمثل أهدافا تعليمية عامة محددة في المناهج المدرسية في صيغة كفاءات تكونها نواتج تعلمات تترجم في صور أفعال سلوكية حيث ينتج عن كل تعلم من التعلم اكتساب سلوك جديد، لها تأثير على الفرد، ولتعلم الفرد أهداف ونتائج على مستوى جميع المجالات.

5_ مكانة المعلم في بيداغوجية الكفاءات:

إن المعلم في إطار المقاربة بالكفاءات مطالب بالتخلي في كثير من الأحيان عن الطريقة الاستنتاجية في التدريس. فعليه أن يكون منظما للوضعيات، منشطا للتلاميذ، حائنا إياهم على الملاحظة والتشاور والتعاون، ومسهلا لهم عملية البحث والتقصي في المصادر المختلفة للمعرفة (كتب، مجلات، جرائد، قواميس، موسوعات، أقراص مضغوطة، أنترنت الخ...). وبقدر ما يكون بحاجة إلى الوسائل التعليمية ستكون حاجته أكثر إلى إبتكار وضعيات التعلم التي يواجه فيها المتعلم مشكلات وينجز مشاريع

- يصبح مدربا، كما يحدث في ميدان رياضي أو في ورشة فنية. يدعم التعلم، ينظم وضعيات معقدة، يخترع مشاكل وتحديات، يقترح ألغازا ومشاريع.

➤ دوره شديد الأهمية، لكنه لا يحتكر الكلمة ولا يحتل صدارة المسرح.

- ينبغي أن تتطور كفاءته المهنية باعتماد التكوين الذاتي حول:
- ✓ بناء الهندسة التعليمية (تصور وخلق وضعيات الواسطة).
- ✓ الملاحظة التكوينية والتعديل الدقيق للأنشطة التعليمية.
- ✓ إشراك المعلم والأستاذ في إستراتيجية التغيير من البيداغوجيا المركزة على المعارف إلى البيداغوجيا المركزة على التكوين بواسطة المقاربة بالكفاءات، يعتبر أكثر من ضرورة .

6_ الدور التكميلي للكفاءة في نشاطي المعلم والمتعلم:

وظيفة المعلم في المقاربة بالكفاءات و وظيفة المنظم والموجه وليس الملقن، وهو بذلك:

- ✓ يسهل عملية التعلم ويحفز على الجهد والابتكار.
- ✓ يعدد الوضعيات ويحث المتعلم على التعامل معها.
- ✓ يتابع باستمرار مسيرة المتعلم من خلال تقويم مجهوداته.
- المتعلم محور العملية التعليمية : المتعلم هو العنصر النشط وهو بذلك :-

- ✓ مسؤول على التقدم الذي يحرزه.
- ✓ يبادر ويساهم في تحديد المسار التعليمي.
- ✓ يمارس ويقوم بمحاولات يقنع بها أُناده ويدافع عنها في جو تعاوني.
- ✓ يثمن تجربته السابقة ويعمل على تعميقها وتوسيع أفاقها.

وهذه المعارف هي المعارف الضرورية التي يستند إليها التعلم لاكتساب كفاءة من الكفاءات

7_ قياس الكفاءات: تحول القياس في المقاربة بالكفاءات من الاقتصار على قياس الأهداف الإجرائية إلى وضع الفرد في صيرورة نشطة للتطور الشخصي بالتركيز على مؤشر الكفاءة . فهو يعبر إذن عن متابعة الصيرورة الذاتية للمتعلم ، وتبقى الاختبارات أكثر الوسائل استعمالا في التقويم وذلك نظرا للصعوبة الميدانية في الحد من سيطرتها على بقية الوسائل التقويمية . إلا أنه بتطبيق مقاربة الكفاءات فإن المعلم يستطيع فعلا أن يجد منفذا إلى الوسائل التي ظلت تذكر ولكن دون إمكانية ضبطها ضبطا عمليا. ولقياس الكفاءة نرشح تقنيات كارل روجرس الآتي:

- ✓ التقويم يؤدي إلى معرفة النفس وتحمل المسؤولية من خلال مواجهة وضعيات هي مشكلات عملية.

- ✓ روائز علم النفس القياسي (تقويم الذكاء والكفاية الذهنية ، روائز الشخصية ...) .
- ✓ إقامة علاقة بين الكفاءة المكتسبة والقدرات.

✓ ترقية تقويم السلوك إلى معرفة ما يمكن للشخص القيام به، وهو ما يعبر عنه بمعرفة ما يفعله.

8_ مزايا المقاربة بالكفاءات: تساعد المقاربة بالكفاءات على تحقيق الأغراض الآتية:

أ- تبني الطرق البيداغوجية النشطة والإبتكار: من المعروف أن أحسن الطرائق البيداغوجية هي تلك التي تجعل المتعلم محور العملية "التعليمية-التعلمية". والمقاربة بالكفاءات ليست معزولة عن ذلك، إذ أنها تعمل على إقحام التلميذ في أنشطة ذات معنى بالنسبة إليه، منها على سبيل المثال "إنجاز المشاريع وحل المشكلات". ويتم ذلك إما بشكل فردي أو جماعي.

ب- تحفيز المتعلمين (المتكويين) على العمل: يترتب عن تبني الطرق البيداغوجية النشطة، تولد الدافع للعمل لدى المتعلم، فتخف أو تزول كثير من حالات عدم انضباط التلاميذ في القسم. ذلك لأن كل واحد منهم سوف يكلف بمهمة تناسب وتيرة عمله، وتتماشى وميوله واهتمامه .

ج- تنمية المهارات وإكساب الاتجاهات، الميول والسلوكيات الجديدة: تعمل المقاربة بالكفاءات على تنمية قدرات المتعلم العقلية (المعرفية)، العاطفية (الانفعالية) و"النفسية-الحركية"، وقد تتحقق منفردة أو متجمعة.

د- عدم إهمال المحتويات (المضامين): إن المقاربة بالكفاءات لا تعني استبعاد المضامين، وإنما سيكون إدراجها في إطار ما ينجزه المتعلم لتنمية كفاءاته، كما هو الحال أثناء إنجاز المشروع مثلا . ه اعتبارها معيارا للنجاح المدرسي: تعتبر المقاربة بالكفاءات أحسن دليل على أن الجهود المبذولة من أجل التكوين تؤتي ثمارها وذلك لأخذها الفروق الفردية بعين الإعتبار .

والتعلم في بيداغوجية الكفاءات: يُبنى تعلم التلاميذ في بيداغوجية الكفاءات على الوضعية المُشكلة وإعداد المشاريع، التي ينبغي أن تكون على صلة بواقعهم المعيش، وأن يسخروا فيها مكتسباتهم المعرفية والمنهجية. وأن يربطوها بواقعهم وحياتهم في جوانبها الجسمية النفسية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية. وتسمح المقاربة بالكفاءات عموما بتحقيق ما يأتي:

➤ إعطاء معنى للتعلم: تحدد عملية تنمية الكفاءات الإطار المستقبلي لتعلم التلاميذ،

والربط بينه وبين وضعيات لها معنى بالنسبة إليهم، وأن يكون لتعلمهم هدف، وبذلك لا تكون المعارف والمعلومات التي يكتسبها التلاميذ نظرية فقط، بل سيستغلونها حاضرا ومستقبلا. فاكتساب القواعد الصحية للجهاز العصبي مثلا وغيرها، يكون من أجل الحفاظ على سلامة الجسم ووقايته .

➤ جعل التعليم أكثر نجاعة: تضمن المقاربة بالكفاءات أحسن حفظ للمكتسبات،

لاعتمادها أسلوب حل المشكلات وإنماء قدرات المتعلمين كلما واجهوا وضعيات

جديدة، صعبة ومتنوعة. وتسمح المقاربة بالكفاءات بالتركيز على المهم فقط كما تربط المقاربة بالكفاءات بين مختلف المفاهيم سواء في إطار المادة الدراسية الواحدة أو في إطار مجموعة من المواد.

➤ بناء التعليم المستقبلي: إن الربط التدريجي بين مختلف مكتسبات التلاميذ وفي وضعيات ذات معنى سوف يمكن من تجاوز الإطار المدرسي ويسمح باستثمار هذه المكتسبات سنة تلو أخرى ومرحلة بعد أخرى في خدمة كفاءات أكثر تعقيدا. (صبرينة، 2011: 205_206)

9_ آفاق تطبيق المقاربة بالكفاءات في النظام التعليمي: إن اعتماد الكفاءات كمقاربة في صياغة المناهج يتطلب إعدادا دقيقا وتحضيرا مكثفا، لذا فإنه لتطبيق هذه المقاربة لا بد من توفر مجموعة من الشروط كفيلة بإنجاح العملية، ومن بين أهم هذه الشروط يمكننا ذكر ما يلي:

✓ مراعاة الخصائص والإمكانيات والموارد المالية والبشرية التي تتوفر عليها النظام التربوي.

✓ الاهتمام بتكوين العنصر البشري على كافة المستويات، وبصفة خاصة المعلمين الذين

تقع على عاتقهم مهمة تنفيذ المنهاج الجديد.

✓ تحرير المعلم من القيود النمطية وجعله أكثر حركية وفتح مجال المبادرة أمامه.

✓ إعداد المعلمين على كافة الأنماط التقويمية وذلك من خلال تكوين نوعي يتم التأكيد

من خلاله على استيعاب هذه الأنماط وتطبيقها بما يتناسب مع المقاربة الجديدة.

✓ توسيع الوسائل التقويمية بصفة واضحة وبيداغوجية إلى الوسائل الأقل استعمالا في

التقويم التقليدي، وبصفة خاصة تلك الوسائل المرتبطة بتقويم أداءات التلميذ

الصفية واللاصفية، مثل الملاحظة وسجل الكفاءات المحققة...

✓ التفتح أكثر على الحياة غير المدرسية للتلميذ حتى نفهم ما يحتاج إليه من كفاءات

يوظفها في حياته اليومية.

✓ المتابعة المستمرة لأداءات المعلمين ومراقبة المشاكل التي تعترضهم في تطبيق المقاربة

الجديدة وبالتالي إدخال التعديلات اللازمة كلما تطلب الأمر ذلك.

✓ العمل على تحقيق إشراف تربوي كفو، يكون دعما للمعلم في تحقيق المستوى

المطلوب.

وبدون توفر هذه الشروط، فإننا لا نتوقع نجاحا لتطبيق هذه المقاربة، فتلقى حينئذ قرارا ارتجاليا، ستكون نتائجه وخيمة على مستقبل النظام التربوي الجزائري.(لخضر، 2011: 87-88)

خاتمة:

لقد أحدثت المقاربة بالكفاءات ثورة في مجال تصميم المناهج الدراسية، وأصبحت من أكثر المجالات جلبا للاهتمام والبحث في الميدان التربوي، وذلك نظرا لما ارتكزت عليها من نظريات متعددة في علم النفس وعلوم التربية، ولما أحدثته من تغييرات جوهرية في الحكم على مخرجات التعليم. وإن الحكم على نجاح أو فشل تطبيق هذه المقاربة -وذلك في حالة توفير كل متطلبات هذا التطبيق- لا يزال سابقا لأوانه، خاصة في الأنظمة التربوية التي تبنت هذه المقاربة دون أن تكييفها تكييفا تاما حسب الواقع بكل مكوناته. ولكن في كل الحالات فإن الانتقال إلى مقاربة جديدة بات أمرا مفروضا بحكم التطورات الحاصلة على كافة الميادين، خاصة مع الانفجار المعرفي وما تضمنته الأبحاث في ميدان علم النفس وعلوم التربية من نتائج تؤكد أن المقاربات القديمة لم تعد تفي بالغرض لتمكين المتعلم من التكيف مع واقع عنوانه الكبير وسمته الرئيسية التغير السريع في شتى المجالات.

قائمة المراجع:

1. بوسمان، كريستيان. وماري، فرانسواز. وجزافي روجي وآخرون (2005). أي مستقبل للكفايات. ترجمة عبد الكريم غريب، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، المغرب.
2. وزارة التربية الوطنية، مديرية التعليم الأساسي، (2003)، مناهج السنة الأولى من التعليم الابتدائي، مدخل عام.
3. محمود عبد الحليم منسي، (1998) التقويم التربوي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ط 1، مصر.
4. المجموعة المتخصصة لمناهج الجغرافيا و التربية المدنية، إشراف مفتش التربية و التكوين، سليمان نايت (2003)، عرض حول بناء المناهج وفق مقاربة الكفاءات، ثانوية حسيبة بن بوعلی
5. غريب، عبد الكريم. (2006). المهمل التربوي، معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية. منشورات عالم التربية، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب.
6. فاتحي، محمد(2004)، تقييم الكفايات، منشورات عالم التربية، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب.
7. صبرينة حديدان، شريفة معدن(2011)، مدخل إلى تطبيق المقاربة بالكفاءات في ظل الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر، ملتقى التكوين بالكفايات، جامعة ورقلة، الجزائر.
8. لخضر لكحل(2011)، المقاربة بالكفاءات: الجذور والتطبيق، جامعة ورقلة، الجزائر.
9. Ministère de l'éducation nationale. (2006). Qu'apprend-on à l'école élémentaire? Les programmes 2006-2007, Centre Nationale de Documentation Pédagogique, XO édition, imprimé en France.